المحاضرة رقم-٥-

النظرية الماركسية الكلاسيكية

١-تعريف النظرية الماركسية الكلاسيكية:

هي أفكار جديدة قدمها "كارل ماركس" حيث قدمت مضمون جديد للبناء الاقتصادي للمجتمع من خلال سياق التطور التاريخي للعمل الإنساني كونه علاقة أولية بين الإنسان والطبيعة وصنف المجتمعات على أساس نظمها الاقتصادية القائمة على البناء الفوقي الإيديولوجي وعلاقته بأسلوب الإنتاج والعلاقات الاجتماعية مع إظهار فكرة الوجود الاجتماعي للإنسان الذي يحدد وعيه وشعوره بوجوده لذلك فالثروات الاجتماعية وما أحدثته من أثر في التنظيمات الاجتماعية والإنسانية إلا نتيجة لهذا الوعي ولقد حظي كارل ماركس بشهرة واسعة كونه من أبرز من يسروا محاور ارتكاز أساسية لنظرية اجتماعية وتاريخية لفهم التغيرات التي مرت بها المجتمعات الأوروبية وكان له الفضل على الحركة العمالية كما تأسست نظريته الاجتماعية من خلال الدراسة الواقعية الاجتماعية لحياة الطبقة العاملة.

كما يعتبر الفكر الماركسي هو الوريث الشرعي لعصر التنوير خاصة باتجاهاته النقدية وبذلك يعتبر **"كارل ماركس"** مؤسس التيار الراديكالي في فهم قضايا المجتمع ومشكلاته.[١]

٢-مبادئ النظرية الماركسية الكلاسيكية:

تقوم النظرية الماركسية الكلاسيكية على عدة مبادئ يمكن حصرها في النقاط الآتية:

١- أنها تعبير عن الصراع الطبقي ومصالح مادية.
٢- فهم العالم ليس المهم بل العمل على تغييره.
٣- المادة توجه العالم وتفسر التاريخ.
٤- التاريخ عن الماركسية عبارة عن صراع بين الطبقات نتيجة عوامل اقتصادية.
٥- الاقتصاد وعلاقات الإنتاج هما أساس كل ظاهرة اجتماعية.
٦- الدعوة لتغيير العالم لصالح الكادحين مع رفض قاطع للميتافيزيقا.

---

[١]- عدناني زريقة: الكافي في الفلسفة، دار الريحانة للكتب، ط ٣، ٢٠١٠.

٧- تفسير الأحداث والتاريخ بناء على نظام الملكية.

٨- محاربة الأديان واعتبارها وسيلة لتخدير الشعوب وخادما للرأسمالية والإمبريالية.

٩- الغيمان بأزلية المادة وأن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات.

١٠- الأخلاق نسبية وهي انعكاس لآلة الإنتاج.

١١- القضاء على الاستغلال الفردي وسحق الفرد.

١٢- الغاية تبرر الوسيلة بطريقة آلية وأن سعي الأفراد لتحقيق أهدافهم يلزمهم بالتفاعل مع العالم المادي هذا الأخير الذي يستلزم وجود علاقات اجتماعية تنشؤها الحاجة إلى التكنولوجيا ،وهذا ما أطلق عليه كارل ماركس قوي علاقات الإنتاج.[٢]

٣-مرتكزات النظرية الماركسية الكلاسيكية:

ترتكز النظرية لدى كارل ماركس على القضايا الأساسية الآتية:

٣-١-المادية التاريخية:

إن دراسة تاريخ الظاهرة شيء لا بد منه لفهم الظاهرة دون أن نكتفي بالماضي، بل ينبغي أن ندرسها دراسة مادية اقتصادية أيضا ،فالمادية التاريخية وما تتضمنه من البناء الأساسي والبناء الفوقي، ونمط الإنتاج يبرره **ماركس** ذلك بأن الواقع هو الذي يؤثر في الوعي لا يؤثر في الواقع بأي شكل من الأشكال لأن الواقع هو الظروف والمعطيات الاجتماعية والاقتصادية للفرد والوعي عنده هو جملة من الأفكار والمعتقدات والقيم والمبادئ والدين والفلسفة التي جميعها تتأثر بالعوامل المادية ولا يمكن أن تؤثر في هذه العوامل، فإذا غيرنا واقع الإنسان الاقتصادي لا بد أن يغير وعيه الاجتماعي أي يغير قيمته وأفكاره ومعتقداته وفلسفته ونظرته للحياة، علما أن وعي الطبقة البورجوازية يختلف عن وعي الطبقة البروليتارية، واختلاف الوعي الاجتماعي بين الطبقتين يرجع إلى اختلاف ظروف ومعطيات كل طبقة عن الطبقة الأخرى.[٣]

٣-٢-الطبقات والصراع الطبقي:

---

[٢]- عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع (الكلاسيكية)، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣ الإسكندرية، ص١٤٤.

[3] - Marx.k : selected writing in sociology and soual phulosophy, apelicon book , middle sex ,1997 p41.

الطبقات من منظوره يتم على أساس تقسيم المجتمعات إلى مالكه لوسائل الإنتاج أو غير مالكه لها وأن الموقع من هذه الوسائل هو الذي يحدد كل العوامل الأخرى التي يتكلم عنها المفكرون المثاليون مثل المهنة والدخل وأسلوب الحياة ومحل السكن رافضا استخدام محك الدخل للتمييز بين الطبقات ذلك لأن الدخل ليس منفصلا بأي شكل من الأشكال عن العملية الإنتاجية ولكنه يتحدد بأسلوب الإنتاج وعليه فإن **"ماركس"** قد رفض دعاوي المفكرين المثاليين مثل **"جون ستيوارت ميل"** بأن الطبقات ليست إلا نتاجا للامساواة في توزيع الدخل وبالتالي فإنه يمكن تخفيف حدة الصراع الطبقي أو حتى إزالته عن طريق تقليل بين الدخول التي يحصل عليها الناس.

ويتكون المجتمع الطبقي حسب هذا الطرح من طبقات أساسية وطبقات غير أساسية وهذا ما يطلق عليه بالفئات الاجتماعية. أما الطبقات الأساسية فهي تلك الطبقات التي تربط نمط الإنتاج في مجتمع معين من المجتمعات الطبقية، حيث نجد طبقة ملاك وسائل الإنتاج، وطبقة المقهورين التي تقف في مواجهة الطبقة الأولى، ففي المجتمع العبودي نجد طبقتين أساسيتين هما طبقة أصحاب العبيد والعبيد، وفي المجتمع الإقطاعي نجد طبقتين أساسيتين هما طبقة الإقطاعيين وطبقة الفلاحين والمجتمع الرأسمالي نجد البورجوازية والطبقة الكادحة البروليتارية.[٤] فيرى ماركس أيضا في هذا الصدد أن الرأسمالية كطبقة يستحيل عليها تحقيق تراكما لرأس المال والثروة ما لم تحصل دائما على فائض قيمته عمل العمال، فالعامل يضطر دائما إلى بيع قوة عمله لأصحاب الأعمال في سوق العمل الذي يحددون هم قواعد وباستمرار وبالتالي هذا الاستغلال هو أساس الصراع الدائم بين طبقة العمال وطبقة الرأسمالية.

٣-٣-الصراع:

إن الصراع البقي عنده هو القوة الدافعة ومصدر التطور في المجتمع الطبقي الذي يسود فيه العداء أو العلاقات العدائية بين الطبقات هذا الصراع هو الذي يحدد التطور الاجتماعي في المجتمع الطبقي، وكلما زادت حدة الصراع وكلما أصبحت الطبقات المشغلة أكثر تنظيما وشدة في صراعها ضد مستغليها كلما كان تطور المجتمع أسرع.[٥]

٣-٤-الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي:

---

[٤]- الحسن إحسان محمد: رواد الفكر الاجتماعي، دار الحكمة للطباعة، بغداد، ١٩٩١، ص٩٣.

[5] - Marx.karl : german judeology new York international publishers 1990 p120.

يعرف **ماركس** الوعي الاجتماعي بأنه مجموع النظريات والأفكار والمشاعر والآراء والعادات والتقاليد التي توجد لدى الناس والتي تعكس واقعهم الموضوعي أي مجتمعهم الإنساني والطبيعة حيث يسلم بأن الأساس الاقتصادي المادي للمجتمع هو الذي يشكل بناء الوعي الاجتماعي في المجتمعات الاشتراكية يختلف عنه في المجتمعات الرأسمالية ومن جهة أخرى يؤكد على أن الوجود الاجتماعي،أي النشاط الإنتاجي المادي للناس هو الذي يحدد وعيهم الاجتماعي، لكن الوعي الاجتماعي قد يختلف عن تطور الوجود الاجتماعي أو قد يسبقه وبهذا تتصنع الاستقلالية النسبية للوعي الاجتماعي في استمرار التطور فالوعي ليس في علاقة سلبية مع الوجود، ولكن الوعي يؤثر تأثيرا إيجابيا على الوجود، فالوجود الاجتماعي للناس هو الذي يتغير أولا ثم يتبعه تغير في وعيهم ولكنه في ظروف معينة يمكن أن يسبق الوعي الاجتماعي وفي هذا السياق نجد **"هربرت ماركيوز"** يقول أن قضية ماركس هي قضية نقدية تتضمن العلاقات السائدة بين الوعي وبين الوجود الاجتماعي زائفة ويجب أن يقضى عليها قبل قيام العلاقة الصحيحة كما أنه يؤكد أن نقطة البدء للمادية قد فرضتها عليه الخاصية المادية للمجتمع الذي يقوم بتحليله وأن إساءة فهمها يؤدي إلى تحريف النظرية إلى الحد الذي نسبت إليه أفكار كان يعارضها.[٦]

٣-٥-الاغتراب:

هو ظاهرة اجتماعية يشعر فيها الإنسان بكونه مغتربا عن الشيء الذي أوجده وخدمه وضحى من أجله، وهو حالة انفصال داخل الإنسان نفسه عن قواه وقدراته الخاصة وتخلي عنها وعن قدراته هذه مستقل عنه.

تحدث هذه الظاهرة في المجتمع القائم على الاستغلال فالنظام الرأسمالي يحيل طاقة العمل إلى سلعة تباع وتشترى في الأسواق فكل عامل يتخصص في جزء بسيط من السلعة، مما يصيب العمال بعدم الشعور بالخلق وبالتالي يخلق اغترابا بين العامل والسلعة المنتجة وبذلك يرى "ماركس" بأن الرأسمالية أدت غلى اغتراب الإنسانية عن نشاطها أي عن نتائج عملها وبالتالي حولت نتائج العمل إلى موضوع أو شيء غريب فخضوع العامل لقوانين الإنتاج الرأسمالي للسلع يؤدي حتما إلى افتقاره.[٧]

---

[٦]- زكريا إبراهيم: الطبيعة البشرية في فلسفة كارل ماركس مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول، ١٩٧١ ص ٢٦٥.

[٧]محمد سعيد نابلس: الاقتصاد السياسي ط٦، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٨، ص ١٠٨.

٤-تقييم النظرية الماركسية الكلاسيكية:

- إن الماركسية وكغيرها من النظريات تعرضت لنقد العديد من المفكرين ومن بينهم "بوتومور" والذي قام بنقد الماركسية الكلاسيكية من خلال الجوانب الآتية:
- الأهمية التي أولاها **"كارل ماركس"** للطبقة والصراعات الطبقية في تفسير التغيرات التاريخية الأساسية في المجتمع البشري جعلته يهمل علاقات اجتماعية أخرى على جانب كبير من الأهمية خاصة القومية والصراع بين الأمم.
- كفاءة الماركسية في تفسير العلاقات الطبقية في أنماط المجتمعات المغايرة للنمط الرأسمالي.
- أن كارل ماركس لم يعق بناء المجتمعات الحديثة مما جعل الهوة بين البورجوازية والبروليتارية حيث لم تختلف بين الشرائح الوسطى من السكان كما أن الطبقة البروليتارية لم تحقق نموا في الوعي الاجتماعي بحيث تقوم بدورها التاريخي في الثورة على ما تصور كارل ماركس.
- أزمة الماركسية الكلاسيكية قبل ظهور غورباتشوف في أوروبا الشرقية عاشت الماركسية في جدال عنيف بعد أن أصبحت كثيرا من القضايا أكثر وضوحا وهناك قلة من الماركسيين الآن تؤمن بالحتمية التاريخية باستثناء البنيويين الفرنسي الذين قاموا بمجرد إحلال العوامل الثقافية محل العوامل الاقتصادية.
- أن فروض ماركس تعتريها أخطاء فيما يخص الوصف الفعلي لنمط الصراع والتوازن، ولكنه أيده من خلال الوجهة التاريخية.
- كذلك نجد إتهام" **سوروكين"** لماركس أن نظريته تقوم على الحتمية أو أساس ميتافيزيقي وتقوم على جانب واحد فقط حيث أنها في حقيقة الأمر علاقة تبادلية تأثر وتأثير.[٨]

[8] Gel,gw, lecteured on the history of philosphy,vol 3,london,1986,p351.